دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الذوق وأثره في النقد
المصدر:	رسالة المعاهد العلمية
الناشر:	جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - معهد الرياض العلمي
المؤلف الرئيسي:	العنقري، عبدالعزيز بن سلطان عبدالرحمن
المجلد/العدد:	ع 7
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1992
الصفحات:	74 - 81
رقم MD:	186808
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الفنون الادبية، الذوق، الذوق الشعرى، البلاغة الشعرية، الأزياء، الاحداث السياسية، النقد الادبى، النقاد ، القواعد العلمية، الاعمال الادبية، الجمال الادبى
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/186808

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الذوق وأثره في النقد

للأستاذ : عبد العزيز العنقري

ورد في المحيط ذاقه ذوقا وذوقانا ومذاقا ومذاقة اختبر طعمه وتذوقه ذاقه مرة بعد مرة وفي المنجد الذوق ملكة تدرك بها الطعوم ، والذوق الطبع يقال : هو حسن الذوق للشعر أي مطبوع عليه .. ويقول ابن خلدون في مقدمته بعد أن عرف الذوق بأنه حصول ملكة البلاغة للسان .

(واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان ، وانما هو موضوع لادراك الطعوم ، لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لادراك الطعوم استعير لها اسمه) (١)

ويعرف الذوق بأنه استعداد خاص يهيء صاحبه لتقدير الجمال ، والاستمتاع به ومحاكاته بقدر مايستطيع ، في أعماله ، وأقواله ، وأفكاره (٢)

مما تقدم يتضح لنا أن هذا الذوق ملكة شخصية ، واستعداد فطري ، يهيء صاحبه لادراك الجمال هذه الحاسة الفنية لايستطيع كل انسان أن يملكها فليست بالأمر الهين ، اذ أن مانسميه ذوقا ليس الا مزيجا من العاطفة ، والعقل ، والحس والمشاعر ، والعادات التي تساهم فيها كل عناصر شخصيتنا .

ولما كان الذوق كما ذكرنا حاسة فنية يهبها الله سبحانه للبشر رأيناهم يتفاوتون في هذه الحاسة الفنية تفاوتا يتناسب مع حظهم من هذه الهبة ومن هنا قسم الذوق الى قسمين كبيرين : ذوق سيء وفاسد : وصاحب هذا الذوق لايدرك الجمال

---

(١) المقدمة ص ٥٦٣ . (٢) دراسات في علم النفس الادبي ـ حامد عبد القادر ص ١٤٥

فهو بالتالي لايتأثر به .

وذوق سليم يهدي صاحبه الى أسرار الجمال ويضع يده على مواطن القبح فيميزها أتم تمييز .

وكلمة الذوق عندما تطلق في (النقد الأدبي) فهي تنصب على هذا القسم من الذوق على أن هناك تقسيما آخر للذوق ، وهو تقسيمه الى عام يشترك فيه أبناء الجيل الواحد مثلا ، وذوق خاص يتأثر بهذا الذوق العام ولكنه مع ذلك متأثر بالشخصية الفردية .

خذ مثلا لذلك ،الشاعر المصري عبد المطلب فهو متأثر بالذوق المصري العام لكن أثر شخصيته يبرز في شعره الى البداوة والحنين الى صحراء نجد ووصف الجمل وغير ذلك من مظاهر الصحراء .

والذوق يتأثر بعوامل كثيرة .. عوامل تخالف بين الأذواق فتجعل لكل زمن ذوقه ، ولكل جماعة ذوقها .. ولا شك أن الذوق مرن قابل للتأثر شأنه شأن الأدب ، والشخصية ، فهو يخضع لمؤثرات تعمل فيه عملها ، فتغير من خواصه وهذه العوامل كثيرة ، فبيئة الانسان المادية والمعنوية لها أثرها الكبير في تكوين الشخصية ، والذوق — كما عرفنا — مزيج من العاطفة والعقل والحس وهو من المرونة بحيث يقبل التأثر من أقل مؤثر ، فذوق البدوي مثلا غير ذوق الحضري الذي يسكن المدن ، والذوق عند القروي غيره عند ساكن المدينة ، لذا ترى القروي يميل الى الصارخ من الألوان مثلا ، ومن هنا كان أهل البادية يفضلون زهيرا والنابغة ، وأهل الكوفة يفضلون الأعشي .. وليس لهذا التفضيل سبب الا الميل وتوافق الطبع ، وليست قصة ابن الجهم ببعيدة عن أذهاننا فطالما رددها أساتذة الأدب مبينين بها أثر البيئة في الأديب ، يروى أن علي بن الجهم دخل بغداد ، ومدح المتوكل بقصيدة قال فيها :

أنت كالدلو لاعدمتك دلوا
من كثير العطايا قليل الذنوب

أنت كالكلب في حفاظك للود
وكالتيس في قراع الخطوب

فجن جنون الحاضرين وهموا بقتله لولا أن الخليفة منعهم فالشاعر — كما ترى — حدد في شعره عن بيئته لكن مثل هذا الكلام يمجه الذوق الحضري لذا رأيناه ينشد

الشعر الرصين الملائم للبيئة الحضرية وذلك مثل قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

(العرب لاتروي شعر عدي بن زيد لأن ألفاظه ليست بنجدية) (٣)

وكذلك الزمان فلكل عصر ذوقه الذي يتميز به عن سائر العصور ..

وهذا ظاهر لنا لو ألقينا نظرة على فن العمارة وتصميم البيوت عندنا ، فليست منازل مابعد الخمسينات على طراز ماقبل الخمسينات وكذلك الأزياء ، فالذوق يتطور مع الزمن تطورا يتناسب مع تدرج الانسان خلال العصور المتعاقبة .

والانسان في هذه الرحلة الطويلة تزداد معارفه ، ويتأثر بغيره من الأمم التي يختلط بها وبالثقافات التي يحصل عليها .

ولا غرابة في ذلك فالأدب يؤرخ تارة بالأحداث السياسية ، وتارة بالفنون الأدبية ، وتارة بالذوق .. يقول الأستاذ أحمد الشايب : (وعندي أن تاريخ الذوق يوازي تاريخ الأدب والنقد الأدبي فهي كلها مظاهر فنية متلازمة وعن الذوق يصدر الأدب واليه مرد نقده) (٤)

وهذا سبب مانجده من سآمة وعناء شديد عند سماع بعض الخطباء وهم يلوكون خطبهم المسجوعة التي أخذوها من كتب قديمة ألفت لزمن غير زمننا ، وهناك عوامل الجنس والتربية والمزاج الخاص وغيرها ، كل هذه العوامل تعمل في الذوق عملها فتصفها صفة معينة يتميز بها .

بعدما قدمناه من تعريف للذوق وأنه استعداد فطري ، وأنه مزيج من العاطفة والحس والعقل يتصف بالمرونة ويتأثر بالعوامل ، لابد أن نسائل أنفسنا ياترى هل يمكن تكوين الذوق ؟ وكيف يكون ذلك ؟

أما السؤال الأول فقد أجبنا عليه في تعريف الذوق بأنه استعداد فطري موهوب فتكوينه بمعنى ايجاده من العدم أمر مستحيل ، فالمقصود بتكوين الذوق اذن تربيته وتهذيبه ، وهذان يحصلان بادمان المطالعة في روائع الفن . فالتثقيف يكمل ما في الطبيعة من نقص ويقوي مافيها من ضعف .

أما الاستعداد من غير ثقافة لغوية أو أدبية لايثمر شيئا ، ومثله مثل بذرة لم تتهيأ لها البيئة الصالحة

---

(٣) تاريخ النقد الادبي ـ طه ابراهيم ص ٦٦

(٤) أصول النقد الادبي ص ١٢٩

لاثمارها فلا يظهر لها ساق ولافروع ولا ثمر (٥) .

والآن ماهو أثر هذا الـذوق ـ الذي عرفنا طرفا منه ـ في تقديـم العمل الأدبي ؟؟ سبق أن ذكرت أن الذوق استعداد فطري يختص بـه أناس دون آخرين .

وليس لدينا الوسيلة التي نستطيع بواسطتها معرفة أصحاب الذوق من غيرهم ، والذوق ككـل صفة غـير مكتسبة حتى نكتسبها وما دام الأمر كذلك فلنتسابق الى ادعائها وليس في قدرة أحد أن يكذبنا مادام لايوجد علامة محسوسة يعرف بها صاحب الذوق .

من هنا جاءت دقـة الـذوق ، وخطورة شأنه ، ومن هذا البـاب ولج الأدعياء وشوهوا صفحة الذوق الناصعة بما يصدرونه من أحكـام باسم الذوق وماهي من الذوق في شيء لكن النقد سيقبلها وأمره الى الله .

وبهذه التوطئة البسيطة أستطيع أن أذكر ـ بشيء من التفصيل ـ أثر الذوق في النقد واقفا على أثرية الايجابي والسلبي مستشهدا علـى ذلك بما أراه مناسبا .

ضرورته :ـ

يقولون : « أهل الذوق هم سدنة الجمال وحماته ! » (٦)

والسامع لهذه العبارة قد يتوهـم لأول وهلة أن فيها شيئا من المبالغة ، وأن هوى بالنفس أدى الى اطلاقها لكن هذا التوهم سيزول ـ لامحالة ـ من نفس صاحبه اذا عرف حقيقة هذا الذوق . وأن من أوتي نصيبـا منه فقد أوتي حظا عظيما كيف لا ؟!! وصاحب الذوق السليم يملك المصباح السحري الذي نستضيء بنـوره في مجاهل النقد ، فنقع علـى أسرار الجمال في العمل الأدبي يـوم يستغلق النص على الآخرين .

كثير هم الذين يتعرضون للعمل الأدبي ، ولكنهم مـع كثرتهم ـ متفاوتون في تقييمه . تعـرض القصيدة على الطلاب في الفصـل فيفهمون ألفاظها ، ومعانيهـا ، ويعرفون مافي وزنها وقافيتها مـن صحة أو عيب ،ولكن قلة منهـم تستطيع أن تتعدى هذا،فتبين وحدة العمل الادبي ، والطاقة الشعوريـة الكامنة فيه ، وما في ألفاظه وتراكيبه من ايحاء .

ونحن نعلم أن أي نقد يهمـل

---

(٥) اسس النقد الفني أحمد بدوي ص ٨٩

(٦) العربي ـ عدد ٦٠ ـ علي أدهم

هذا لايسمى نقدا ٠فما هي الوسيلة التي نستعين بها لمعرفة هذه الأمور؟

هذه الوسيلة هي الذوق السليم، الذوق الذي يفتق العمل الأدبي فيتفتح ء نأسرار قد نحرم منها لو اعتمدنا على القوانين العلمية ٠٠

فالناقد صاحب الذوق السليم هو الذي يقف بنا على أشياء في العمل الأدبي قد لانحلم بها ٠ بل ان الناقد الذواقة يصل في بعض الأحيان الى دقائق لم تدر بخلد مبدع الأثر الادبي نفسه (يروى أن أبا نواس سمع رجلا يشرح قصيدته :

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ٠٠ ٠الخ وقال في شرح هذا البيت : انه اراد أن يتلذذ بذكر الخمرة كما يتلذذ بشربها ولذا كررها ٠ فقال أبو نواس : لقد وقع ــ والله ــ على أمر لم يخطر لي ببال !) ٠

ان قيمة هذا الذوق السليم تتضح لنا بشكل واضح ، عندما نواجه نصين قد استكملا شروط الجودة المتعارف عليها ، ولكن النفس تميل الى أحدهما بالقدر الذي تنبو فيه عن الآخر لأسباب غير ظاهرة في الأسلوب أو في المعنى هدانا اليها هذا الذوق السليم ٠

ومن هنا جاء احتفاء النقاد به ٠٠ فعبد القاهر الجرجاني يقول مبينا أثر الذوق المثقف في ادراك الأدب وتذوق جماله (وهذا موضع في غاية اللطف لايبين الا اذا كان المتصفح للكلام حساسا يعرف وحي الشعر، وخفي حركته التي هي كلهمس وكسري النفس في النفس) ٠(٧)

أما من لم يرزق هذا الذوق السليم فلا جدوى من التحدث معه٠ يقول عبد القاهر في ذلك : (واعلم أنه لايصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ، ولا يجد لديه قبولا ، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ٠٠ الخ) ٠ (٨)

فهو يرى أن الذوق المثقف هو الأداة التي تدرك مافي العمل الأدبي من جمال٠ومن قبل عبدالقاهر عرف كثير من النقاد قيمة الذوق وأنه صفة لابد من توفرها فيمن يتصدى للنقد ٠ ولذا رأيناهم ينادون بذلك في كتبهم ، ويندون بمن حاولوا اخضاع النقد لقوانين علمية غير نابعة من طبيعة الادب ٠

بل ان الأمر تعدى التلميح الى التصريح ٠ فألف الآمدي كتابه (تبيين غلط قدامة بن جعفر في كتاب

(٧) أسرار البلاغة ص ٢٦٦ (٨) دلائل الاعجاز ص ٢٢٥

نقد الشعر) فقد يدلنا الاحساس الصادق على أسرار الجمال حيث نحقق المقاييس النقدية في الوصول الى ذلك .

وهذا ما أحس به ناقد كبير .. وهو ابن قتيبة عندما حاول تقسيم الشعر فقد رأى ببصيرته فساد هذا التقسيم فعاد أدراجه يدافع عن هذا الذوق لما عرف أثره. فوقف ضد طغيان منطق اليونان على أدب العرب . وهذا أمرمفروغ منه فان أي محاولة لتنحية الذوق سيكون مآلها الفشل .

وما مصير محاولةقدامة بن جعفر في تقنين الأدب وفشلها بغريب عن قراء الادب والنقد ليس علما ، ولا يمكن أن يكون علما ، وذلك لأن أساس كل نقد هو الذوق فلا يمكن أن أدرك طعم شراب أوطعام مالم أتذوقه بنفسي ، واي تحليل كيماوي لشراب أو طعام لايمكن أن يغني عنتذوقي لهذا الشراب أو الطعام وكذلك الحال في الأدب .

(ومادامت التأثرية هي المنهج الوحيد الذي يمكننا من الاحساس بقوة المؤلفات وجمالها فلنستخدمها في ذلك صراحة) «٩» .

ففائدة الذوق وضرورته أمور محسوسة لانستطيع انكارهافالمرجع في النقد الى هذا الذوق السليم في ادراك اسرار الجمالمادام فيالجمال جمال تحصله الصدور ولا تدركه الحواس ولا تسمو اليه القواعد الوضعية ، والقوانين العلمية .

ضرره ....

آفة النقد هذا الذوق !

اننا لو تتبعنا آراء الكثير من النقاد سواء في ذلك من تمخضت آراؤهم عن نظريات أو غيرهم ، لوجدنا أنهم يحسون في نفوسهم بأمر خطير ويعبرون عنه بعبارات مختلفة مؤداها أن آفة النقد هذا الذوق ! يدعون هذا ويؤيدونه بكلام فيه الكثير من الوجاهة ؟ .

فهم يقولون نحن نقر بما للذوق من قيمة وما لأصحابه من مكانة في تقدير الأدب ونسلم بأن هذا الذوق استعداد فطريلكننا لانملك الأداة التي تدلنا على صاحب الذوق فنميزه من غيره ، ونجعللأحكامه مكانة خاصة ، ومادام الأمر كذلك فسيدعي الذوق كل فرد وسيقسم أنه رضع ذلك مع لبن أمه فصار من مكونات جسمه، وبذايكون الذوق

---

(٩) ملحقمنهج البحث عند العرب ـ ص ٤٠٦ ـ لانسون ،

مصدر ضرر على النقد ووسيلة هدم ، وبابا يلج معه أصحاب الأغراض والأهواء الخاصة • تجد ذلك واضحا في تلك الاحكام النقدية التي يرسلها أصحابها بدافع من التعصب أو الهوى كما فعل ابراهيم المازني من المحدثين في نقده للشاعر عبد الرحمن شكري فهو بعد أن أقر له بالفضل ، ورأى فيه رمزا لمدرسة التجديد اذا به بعد أن فسدت علاقتهما يلقيه (بصنم الألاعيب) ويبرىء جماعة التجديد منه ويتهمه بالهذيان والجنون • « انظر النقد والنقاد المعاصرون ص ٤٦ » (١٠)

ولقد أدت سيطرة الذوق على النقاد الى نتائج وخيمة تجعل الناظر لها يتنكر للذوق ويرى فيه شبحا رهيبا ، وضررا يجب ازالته من الطريق • فالناقد يفضل شاعرا على آخر دون ذكر لسبب المفاضلة تاركا القارىء في حيرة من أمره • بل ان الناقد يتعرض للمفاضلة بين شاعرين فيصدر حكما عاما غير مؤيد بسبب الحكم والميزة التي امتاز بها أحدهما على الآخر !! فأبو تمام والبحتري ندان •• لكن أيهما أشعر ، وأبو نواس ومسلم وأبو العتاهية طبقه •• لكن أيهم أشعر•

وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل اننا نجد أحكاما متضاربة • فيونس بن حبيب يجيب من سأله أي الثلاثة أشعر (الأخطل وجرير والفرزدق) ؟ : بأن العلماء أجمعوا على الأخطل) «١١» •

ويريد بالعلماء متقدمي النحاة واللغويين أما كيف قدموه ؟ وبماذا قدموه ؟ فلا نعلم !

ويأتي من بعده بشار بن برد فيهدم هذا الصرح من الاعجاب فهو يقول وقد سئل أي الثلاثة الاسلاميين أشعر ؟ : (لم يكن الأخطل مثلهما ، ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه) فهل تقبل مثل هذه الآراء المتناقضة، والأحكام المتعارضة ؟! الجواب : كلا •

والذوق انما يأتي ضرره من أنه مزيج من المشاعر والعادات والأهواء التي تساهم فيها كل عناصر شخصيتنا ومن ثم يدخل في تأثراتنا الأدبية شيء من أخلاقنا ومعتقداتنا وشهواتنا ، وسيعمد بعض الأشخاص من ضعاف النفوس الى تغليف ميولهم وأهوائهم الباطلة بهذا

(١٠) محمد مندور

(١١) تاريخ النقد ـ طه ابراهيم ـ ص ٦٧

الذوق فيصبح النقد مجموعة من الضلالات التي لايقرها العقل لذلك لزم على الناقد الحد من هذا الذوق الذي يؤدي بالحكم في بعض الأحيان الى عدم الانصاف والحد من هذا الذوق يأتي من التعليل للاحكام التي يصدرها لأن الحكم القائم على الباطل لايستطيع أن يثبت على قدميه أمام الحقيقة (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض)•

وبهذا نستطيع أن نرد كل حكم غير مستند الى الدليل اذا ما أردنا أن نقيم نقدنا للاعمال الادبية على أسس سليمة •

ونربأ بالنقد أن يكون مسرحا يلعب فيه أصحاب الميول الخاصة وضعاف النفوس • وبهذا أكون قد أتيت على الذوق وأثره في النقد وكيف أن هذا الذوق سلاح ذو حدين وهو ضروري لكل ناقد فصاحب الذوق السليم هو الذي يضع أيدينا على أسرار الجمال يوم تخفق القواعد العلمية في ذلك • فأي محاولة لازالته من عملية النقد سيكون مآلها الفشل وسيظل الذوق مابقي الفن تأثرا يصدر من الشعور وما دام لكل أديب طريقته الخاصة في الكتابة فلماذا تحول بين النقاد وأذواقهم على أنه يمكن تلافي خطر هذا الذوق والاستفادة منه بتعليل الاحكام لما تصدر من أحكام والله أسأل أن أكون قد وفقت في عرض هذا الجانب الشيق من جوانب النقد •

العرض الذي يستفيد منه القاريء •

الاستاذ عبد العزيز العنقري